ما أورده الكاتب من روايات خاصة بعلاقة القسّام مع المفتي، وتصوير القسّام وكأن ما قام به جاء بأمر وتكليف مباشر من الحاج أمين، فانه يفتقر الى الاسناد؛ بل ان الكاتب أورده دون اشارة الى أية مصادر، على الرغم من حساسية الموضوع ودقته.

كتب المؤلف: «تباحث الشيخ القسام مع سماحة المفتي بهذا الشأن [اقامة تنظيم عسكري]؛ وتم الاتفاق بينهما على ان يتابع القسام مهمته تأسيس هذه المنظمة، وقيادتها، فقام بهذه المهمة خير قيام، ووضع للمنظمة ميثاقاً اسلامياً، وأنظمة وقوانين داخلية في منتهى الفعالية والاتقان». وتابع: «وكان الزعيم السوري الشيخ كامل القصاب قد هاجر، بعد الثورة السورية، من دمشق الى حيفا، حيث كان يمارس الأعمال التجارية فيها. وكان للقصاب صلة وثيقة وعلاقة متينة بالحاج أمين نشأت أيام الثورة، وتمت واتسعت على مرّ الأيام. وفي الوقت نفسه، كان القصاب صديقاً حميماً للشيخ القسام، وكلاهما من المجاهدين في الثورة السورية، فاختير الشيخ كامل القصاب ليكون صلة الوصل بين الحاج أمين والقسام... وكان الشيخ كامل ينقل توجيهات الحاج أمين الى المنظمة، وكذلك يتسلم المساعدات المطلوبة، ويسلّمها، بدوره، للشيخ القسام» (ص ١٤٠).

وبذلك يبدو وكأن مسألة علاقة القسام مع الحاج أمين مسألة لا تمتّ للخلاف بصلة؛ إلا انها تفتقر ـ وفقاً لما أورده المؤلف ـ الى أي اسناد؛ بل ان الرواية تبدو بعيدة من العديد من الوقائع. وما أورده المؤلف لم تؤكده المصادر ولا روايات المعاصرين؛ بل ومن الثابت والمؤكد ان الحاج أمين ذاته، لم يشارك في تشييع جنازة القسام، الأمر الذي لم يخل من دلالات، في مقدمها عدم رضى الحاج أمين على توقيت البدء بالثورة المسلحة.

وفي الفصل الأول من الباب السادس، يستعرض الكتاب تحالفات الحاج أمين مع ألمانيا وايطاليا خلال الفترة النازية. وعلى الرغم من أن هذه المسألة هي من أبرز مسائل الخلاف في حياة الحاج أمين ونشاطه السياسي، ومن اكثر المسائل استغلالاً من الحركة الصهيونية لتصوير الحركة الوطنية الفلسطينية على انها معادية للسامية وحليفة للنازيين، فقد اكتفى الكاتب بايراد ما ذكره الحاج أمين بهذا الشأن، مقتبساً عن كتاب زهير الماريديني «الف يوم مع الحاج الحسيني» (ص ١٦٩ ـ ١٧١)، وكتاب عوني جدوع العبيدي «صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني» (ص ١٣٥)، اضافة الى محاولة الكاتب تصوير العلاقة بأنها تقع في مستوى التحالف بين الدول الكبرى: «لقد كان موقفه [الحاج أمين] معه [هتلر] مثل موقف ستالين مع روزفلت؛ موقف أراد منه خدمة قضيته المقدسة لا الذوبان في حليفه، او اعتناق مذهبه. ولقد أقر الفكر الاوروبي موقف تشرتشل مع ستالين في الوقت الذي ظلم فيه، غاية الظلم، موقف المفتي مع هتلر. أما عقل الجماهير العربية في الشرق الاوسط، فقد قبل الطعم الذي صاغه له الغرب دون أدنى مناقشة» (ص ٢١١).

وعلى الرغم من تجاوز هذه المقارنة للعديد من الحقائق الموضوعية، فانها لم تُشفع بتحليل ظروف لجوء المفتي الى ألمانيا، ولا الى ابعاد رؤيته لمستقبل حركتها النازية، او ابعاد التحالف معها من الوجهتين، الايجابية والسلبية، ولا لصيغة الاتفاقات العسكرية والسياسية والامنية بين المفتي وألمانيا والى نتائجها، سلباً أم ايجاباً. ولهذا، لم يتمكن الكاتب من مناقشة هذه المسألة الحساسة بشكل موضوعي، ولجأ الى ما يشبه رد الفعل، ازاء ما تعرض له الحاج أمين منهجوم وتجريح، نتيجة تحالفه مع ألمانيا. فجاء دفاعه لرد التهم وابعاد الشبهات، الأمر الذي حال دون التمكن من الغوص في تلك العلاقة، واستجلاء ابعادها.

ملاحظات منهجية

١ ـ ورد في الكتاب العديد من التفاصيل، والاحداث، والوقائع، دونما اسناد الى أية مصادر. ومنها رواية خروج المفتي من لبنان الى بغداد سنة ١٩٣٩. فقد أورد الكاتب الرواية التالية الخاصة بتعثر رحلة المفتي واعتقاله عبر الصحراء السورية ـ العراقية: «كانت تلك الليلة الاولى من رمضان. حاول المفتي ان يقنع الرقيب صالح بأنهم تجار أغنام، محاولين بهذه الصفة ان يتركهم وشأنهم. ولكنه عاند وقرر ان يأخذهم تحت الحراسة الى تدمر، حيث يمثلوا أمام السلطات المختصة. ولقد قضوا الجزء الاكبر من الليل في مناقشة لم تثمر.